تحليل الخطاب وتجاوز البنيوية (فوكو، وجاك دريدا أنموذجا)

*منى بشير الجراح**

ملخص

يعد الخطاب عند كل من: فوكو، وجاك دريدا أحد فروع النقد الألسني الذي أنتجته مقولات مابعد الحداثة، والنظريات المتجهة نحو القارئ، التي نادت بإقصاء المؤلف وإهماله عند ممارسة العملية النقدية، وذلك بالنظر إلى النص على أنه عالم مستقل، ومن هنا برزت لديهم فكرة التناص، وموت المؤلف والقطيعة المعرفية... إلخ من مقولات.

وانتقلت بذلك المعرفة في التاريخانية الجديدة من وضع له ترتيباته الخاصة في إمكانية التفكير اصطلح عليه بـ: (الفكر الميتافيزيقي)، والذي يشمل الخط الفكري الممتد من أفلاطون حتى هيجل مُمثَّلاً بكمال الميتافيزيقيا، إلى وضع ابستمولوجي له ترتيباته الخاصة في الإنتاج المعرفي اصطلح عليه بـ: (فكر الاختلاف)، الذي أنتجه نيتشه واتّجه به صوب دريدا.

وقد طرأت تغيرات جذرية أسست لمفهوم الخطاب، والنص في حقول مابعد الحداثة حيث القطعية المعرفية والتشكيلات الخطابية التي تنظر إلى النص باعتباره مادة مركبة مفتوحة وغير قارة حيث النزوع إلى التفكيك توافقاً مع الانفتاح والابتعاد عن أي نقطة تمركزي قار، وحلَّت ثنائية القارئ والتناص وفقًا للمستويات الإجرائية التي يتبعها نقاد مابعد الحداثة بديلا عن ثنائية المؤلف والنص التي تعود وفقًا للمفهوم الكانطي إلى مستوى الماهيات.

الكلمات الدالة: الخطاب، فوكو، جاك دريدا، ما بعد الحداثة، التناص، فكر الاختلاف.

المقدمـة

تعددت مفهومات الخطاب في النقد الأدبي؛ تبعاً لاختلاف توجهات النقاد ومعطياتهم النظرية والمنهجية في قراءة النص الأدبي وتحديث آلياته.

وقد تضمن الخطاب تحولات أساسية في بنيته ولم تعد النظرة له عند حدود الفهم التفسيري للنصوص وإنما تجاوزت ذلك لمرحلة التأويل النصي وقراءة الخطاب من المنظورات النقدية في مرحلة (مابعد الحداثة).

إشكالية البحث

طرأ على مفهوم الخطاب النقدي العديد من التحولات في عقود الحداثة وما بعدها على المستويين الشعري والنقدي وانعكس ذلك على عملية التلقي مما أفرز عدداً من القضايا الشائكة التي تواجه النقد لدى خوضه العملية النقدية المتعلقة بالعديد من المُساءلات النقدية في مرحلة ما بعد الحداثة بعضها يتعلق بالمفاهيم كمفهوم الخطاب بين البنيوية وما بعدها والقطيعة المعرفية وبعضها الأخر يتعلق بالاستراتيجيات النقدية لدى كل من فوكو ودار يدا ومنهجيتهم في التفكير.

مسوغات البحث

وجاء هذا البحث قصداً من الباحثة إلى الكشف عن إحدى المراحل النقدية المهمة التي شهدت تطوراً ملحوظاً في استقراء النصوص الإبداعية بين البنيوية ومابعدها، المسماة بمرحلة الحداثة ومابعد الحداثة وذلك من خلال تفهم آلية نظام الخطاب لدى ناقدين يعدّان من أبرز ممثلي توجهات النقاد لما بعد البنيوية، وهما ميشيل فوكو، وجاك دريدا، والتعرف كذلك على أبرز الآليات الفكرية والمنهجية التي سلكها كل منهما في قراءتهما للنصوص، وسيكون ذلك في المحورين الثالث والرابع من هذا البحث.

لذا ستقوم الباحثة بتناول أربعة محاور من مرحلة الحداثة، أو البنيوية إلى مرحلة مابعد الحداثة أي مابعد البنيوية، والتركيز على دور المؤلف مروراً بضرورة حجبه عن النص والبحث عن محوريةٍ تنتظم عناصر العمل الأدبي وتوحد بينها وصولاً إلى مقولات موت المؤلف المبشرة بميلاد القارئ والتأكيد

* مركز اللغات، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث 2015/6/11، وتاريخ قبوله 2016/7/25.

 © 2018 عمادة البحث العلمي وضمان الجودة/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

على دوره بوصْفه الفاعلية الحقيقية المنتجة لمعاني النص.

وفي المحور الثالث سينصبُّ اهتمام الباحثة في التأكيد فاعلية الخطاب في العملية النقدية، بين حقليْ البنيوية ومابعدها، ودورهما في إنتاج المعرفة.

المحور الأول: مابعد البنيوية

ظهرت توجهات (مابعد البنيوية) كرد فعل على (البنيوية)، ومثلت هذه المرحلة بروز القراءة كفاعلية تمنح القارئ الفاعلية القصوى في قراءة النصوص، وخلخلة الثوابت المعتمدة السابقة لقراءة النصوص التي سادت مرحلة البنيوية).

ويعد موضوع مابعد البنيوية (post-structuralism) (المسيري، والتريكي، 2003م)' والتي يطلق عليها أحياناً مابعد الحداثة (postmodernity and postmodernism) (الرويلي؛ والبازعي، 2005م) من الموضوعات التي تميزت بها الثقافة الغربية في القرن العشرين، حيث شاعت في الخمسينيات الميلادية، وامتدت كغيرها إلى سائر الثقافات والشعوب.

وتتصل قضية مابعد البنيوية بالبنى الاقتصادية والاجتماعية والنقدية، وكذلك بالنتاجات الثقافية والأدبية، والفنية والفكرية (الرويلي؛ والبازعي، 2005م)، ويعرفها منظرو مابعد الحداثة بـ: "بأنها مجموعة الظروف والشروط المختلفة والمتعددة التي تختلط فيها المظاهر الاجتماعية بالمظاهر الثقافية فلا يمكن التمييز بين ما هو اجتماعي وما هو ثقافي، فتنهار المسافة بين النظرية وموضوعها، ويتعذر الفصل بين النظرية التأويلية والواقع الاجتماعي الذي تحاول النظرية إدراكه وتوصيفه... إلخ (الرويلي؛ والبازعي، 2005م).

ومن خلال العملية السابقة تنتظم القراءة للنص الشعري وفقاً للمستوى الأسلوبي الذي يتموضع فيه، ومعالجة العيد من القضايا الشعرية التي يودعها الشاعر في قصيدته في ضؤ علاقاتها السياقية بالأسلوب الشعري.

ويمكن النظر إلى مابعد البنيوية على أنها انقلاب جذري لأي نقطة تمركز حقيقية قارّة في مستوى الخطاب فهي ضد الحضور، والثبات، ونسف للبنى المرجعية لكل ما هو قبلي، فمقولات مابعد البنيوية لا تؤمن بالتحيزات للمعنى أو جوهريته، وهي بالتالي ثورة على البنيوية ذاتها وضد أي تمركز منطقي للمعنى وثباته، حيث ألغت جميع الفواصل التي تسم الثنائيات الضدية والتحيزات الهرمية (الأصل/ الفرع)، (المهم/ غير المهم) وسعت إلى تقويضها فلامركزية، ولا جوهرية، ولا تجذر، ولا ثبات، ولا تآلفية، ولا حضور... فجاءت مابعد البنيوية حركة مناهضة أوردة فعل لذلك كله ونادت بالتشظي، والتشتيت، واللاتقريرية، والزعزعة لأي نموذجٍ قار، مقابلاً للحداثة أو البنيوية وثباتها (الرويلي؛ والبازعي، 2005م).

وتوصف مابعد البنيوية بأنها: "... السلف المباشر للنظرية الأدبية المعاصرة... وينبغي تفسيره بوصفه حركة احتجاج ضد الرأسمالية، والعلم، والميتافيزيقيا الغربية، والبطريركية... إلخ" (جاكبسون، 2008م).

وجل الدراسات التطبيقية تحيل مقولات مابعد البنيوية إلى أربعة منظرين أساسيين هم: جاك دريدا، وجان جاك لاكان، ورولان بارت، وميشيل فوكو، كما أنها تقوم بتقسيم توجهات مابعد الحداثة إلى أربعة نماذج هي: المنظور التاريخي، والمنظور السياسي الأيديولوجي.

والمنظوران الأخيران سيكونان محل عناية الباحثة، وهما: المنظور الفلسفي الذي يرى في استخدام مفاهيم مابعد البنيوية إلغاء للبنيوية نفسها؛ ففيها تأكيدٌ على أن الحقيقة اللغوية ما هي إلا صناعة لغوية والمنظور الآخر: هو المنظور الاستراتيجي النصوصي الذي تسعى مقولات مابعد البنيوية خلاله إلى تأصيل النص، وانفتاحه حيث اللانهائية واللامحدودية، وتجعل منه نصاً متعدد القراءات (الرويلي؛ والبازعي، 2005م).

المحور الثاني: تحليل الخطاب بين البنيوية ومابعدها:

تنطلق البنيوية في نقدها للأدب من المسلمة القائلة بأن البنية تكتفي بذاتها، ولا يتطلب إدراكها اللجوء إلى أي عنصر في العناصر الغريبة عنها، أو عن طبيعتها.

والنص الأدبي النثري، أو الشعري هو بنية تتكون من عناصر، وهذه العناصر بمجملها تخضع لقوانين تتعدى دورها من حيث هي روابط تراكمية تشد أجزاء الكيان الأدبي بعضه إلى بعض، فهي تُضفي على الكل خصائص مغايرة لخصائص العناصر التي يتألف منها النص (الرويلي؛ والبازعي، 2005م).

وهذا ما دفع البنيويين على المستوى الإجرائي إلى تركيزهم على العناصر الداخلية للنص وتماسك بنياتها ورموزها بما يفضي إلى الكشف عن البنى المتناغمة وتشاكل بنياتها الداخلية بوصفها وحدات صغرى تتصل بوحدات أكبر فيها على المستوى المقطعي تأثراً وتأثيراً.

لهذا فإن ترابط العمل الأدبي أو النص، أواتساقه، وانسجامه أمور ينبغي أن توضع في دائرة الضوء عند النقد لأنها السبيل لكشف عناصر النص من الأضداء، أو الثنائيات المتغايرة، وما بينها مما يشير بوحدة هذا النص (خليل، 2003م).

وتأسيساً على ما سبق؛ فقد ذهب البنيويون في نقدهم للنصوص الأدبية إلى التركيز على تحليل النصوص تحليلاً

شمولياً، بمعنى أنه لا يحسن الاكتفاء بتناول جزءٍ أو أكثر من العمل الأدبي، كتناول المعنى مثلاً، أو الصورة، أو الأسلوب، أو المجاز أو الألفاظ... إلخ، إذ لا تؤمن البنيوية بالتفريق بين الشكل والمضمون، فالنص الأدبي في عرفها يتكون من مجموع هذه العناصر التي تفقد بوجودها مجتمعه في النص قيمتها السابقة، وتصبح شيئاً جديداً يستمد قيمته الأدبية من النص (خليل، 2003م).

وبالتالي فإن للشكل والمضمون طبيعة واحدة، ويستحقان العناية ذاتها في التحليل، فالمضمون يكتسب مضمونيته من، وما يسمى شكلاً ليس في الحقيقة سوى بنية تتألف من أبنية موضعية أخرى توحي بفكرة المحتوى (فضل، 1987م).

أما على المستوى الإجرائي، فإن البنيوية تتيح للناقد القيام بعملية مزدوجة هي الاقتطاع والتركيب، أي أنها تتوقف عند جزءٍ من النص ترى فيه بنية موضعية للكشف عن وظيفة هذا الجزء وصلته بالأجزاء الأخرى، وتأثيره في الكل وتأثره به، وبعد التعرف على هذه العلاقات والوظائف تتم إعادة تركيب النص في إطار التحليل الشمولي لنصوص أدبية يقود إلى الكشف عما بينها من تشاكل مطلق (خليل، 2003م).

وعليه؛ فإن البنيوية تُعلي من شأن النص ورموزه، وتقلل من أثر الذات والوعي سواء أكان وعي المؤلف وذاته، أم وعي القارئ.

أما عن التحولات الناشئة في النظر إلى النصوص في مرحلة مابعد البنيوية فهذا ما قادت إليه تصورات النقاد من شعورٍ بالأزمة والرغبة في الانعتاق من إجراءات البنيويين في تحليلهم للنصوص ومبالغتهم في الشقّ الإحصائي والشكلاني لها ما أدى لطريق شبه مسدود. إلى حدّ أن وصفهم البعض بـ: "سجناء اللغة" (حمودة، 1998م).

وقد أدى ظهور تيار فلسفي اشتهر باسم مابعد البنيوية دوراً رئيساً في توجهات النقاد الساعية لمرحلة مابعد الحداثة وطروحاتها القائمة على تجاوز التصورات العقلية، ومفهوم الذات العاقلة باعتبارها تمثل أساس التقليد الفلسفي الحداثي الذي خطَّ معالمه الأولى ديكارت، وكانط (الشيخ، والطائري، 1996م).

ويمكن تفهم ما بعد البنيوية على اعتبارها الرؤية الفلسفية العامة التي تنضوي تحتها مفاهيم عدة تتلاقى ومقولات ما بعد الحداثة، والتي تضطلع بمهمة الخروج من راهينية تاريخانية المعرفة على مر عقود طويلة إلى ما بعد التاريخ إذ يندرج تحت إطارها العديد من المسميات مثل: التارخانية الجديدة، واللوغوس، والنحوية، ومرحلة المرآة، والتناص، والإبستمولوجيا التي تضمها رؤية واحدة وهي القطيعة المعرفية بالسابق فضلا عن مقولات موت المؤلف والتي تندرج في الإطار ذاته من تحول النظرة في تحليل الخطاب، والانتقال في تحليل بنية النص من المستوة الأنطولوجي إلى المستوى الإبستمولوجي، ويتم إنتاج دلالات النص وتوليدها بناءً على المركب المعرفي اللاحق وقطع الصلات بالسابق.

ويمثل تيار مابعد البنيوية جيل الاختلاف كميشيل فوكو (1926–1984م)، وجاك دريدا، وجيل دلوز (1925–1995م)؛ حيث جاءت مقولاتهم كرد فعل على البنيوية ومقولاتها المرتبطة بمرحلة الحداثة، إلا أن الإعلان الرسمي لانشقاق البنيوية عما بعدها كان على يد رولان بارت الذي رأى أن النص عالم بلا حدود، فهو تنحٍّ، وكتابة مضاعفة لا ينشئها المؤلف إنما هو جامع لها، وبالتالي ألغى بارت دور المؤلف ليحل محله الناقد الذي يحدد المعنى وينتج لغةً خاصةً به، فاللغة المكتوبة تنفصل عن مالكها، على النقيض من الكلام الذي يرتبط بقائله ارتباطاً وثيقاً، وما يتبقى هو الكتابة ذات اللونين الأسود والأبيض (بارت، 1986م).

وكان من دراسة بارت 1970م (S/Z) بداية التحول الحقيقي إلى مابعد البنيوية التي أعلن من خلالها الانعتاق من قيد النسق البنيوي الذي رأى في استقراء علاقاته المحكومة ببنى التضاد عملية مرهقة تفقد النص اختلافه (حمودة، 1998م).

ويمكن تفهم مابعد البنيوية على اعتبارها الرؤية الفلسفية العامة التي تنضوي تحتها مفاهيم عديدة تتلاقى ومقولات مابعد الحداثة، والتي تصطلح بمهمة الخروج من راهنية أو تاريخانية المعرفة على مرِّ عقودٍ طويلة إلى مابعد التاريخ إذ يندرج تحت إطارها عددٌ من المسميات مثل:

التاريخانية الجديدة/ واللوغوس/ النحْوية/ ومرحلة المرآة/ التناص/ الإبستمولوجيا/ التي تضمها رؤية واحدة وهي القطيعة المعرفية بالسابق فضلاً عن مقولات موت المؤلف التي تندرج في الإطار ذاته في تحول النظرة في تحليل الخطاب، وتحليل بنية النص من المستوى الأنطولوجي إلى المستوى الابستمولوجي.

ويتم إنتاج دلالات النص وتوليدها بناءً على المركب المعرفي اللاحق، وقطع الصلات بالسابق (ناصف، 2003م).

فمقولات مابعد البنيوية تميل لوصف كل شيء في العالم بأنه ثقافة وقد نبت هذا التصور أصلا من: "المفارقة بين اللغة والعالم، أو المفارقة بين الدال والمدلول، أو اعتبار اللغة صنعة مجازٍ أو انحرافٍ وتكوين..." (ناصف، 2003م).

ومن هنا افترضت رؤية تغيير العالم كشرط مسبق لولوج عالم الحداثة، والذي تمثل حضورها برفض الأوضاع الوجودية المباشرة لمعطيات أكثر عمقاً وامتداداً، ويغو الشاعر بذلك قادراً

على البوح الجمعي المفارق (لأناه) أحياناً، أو الممتدد بامتداده أحياناً أخرى بعيداً عن الكشف المباشر للذات

بمعنى: لا وجود لأي نقطة تمركز حقيقي قار لوجود الأنا، وهي عرضه للتغير المستمر، فالفرد يبدع ذاته في كل لحظة يقول لاكان: "مرحلة المرآة وهي مشهد استعماري أساسي لأن الوجود أولاً يقتضي استدعاء الكينونة في علاقاتها بالغيرية، بنظرتها أو بمركزها، وتبادل النظرات بين المستعمر والمواطن تفضي إلى انتزاع الموقع الذي تحتله مادّة الرغبة ولذلك فان العلاقة بالآخر ليست فقط علاقة إثبات هوية، وإنما هي أيضا استلاب موقعه المكاني.. الخ" (الرويلي، 2005م).

وقد كانت إفادة لاكان حقيقية من دراسات فرويد النفسية حول اللاوعي، وتحليلاته في هذا المجال التي تزامنت هي الأخرى بالأسس العلمية اللغوية على يد دي سوسيير مما يمكن تلمس آثاره في كتابات لاكان، والأسس النظرية، والتحليلية لنظرية المرآة (ستروك، 1996م).

وغاية ما كان يسعى إليه لاكان في نظريته تلك إثبات أن البحث عن المدلول بشكله الخالص أي البنى الفكرية، وأن اللغة تشكل دوراً بارزاً في التفكير الإنساني، وأن التمييز الفاصل بين الدال والمدلول ذاتاً، وموضوعاً يتعين من خلال هذه الوجْهة، أي من خلال سلسلةٍ من الدوالّ (أو العلامات الملاحظة داخلها) (ستروك، 1996م).

المحور الثالث: مفهوم الخطاب عند فوكو:

تعددت آليات النظر إلى الخطاب في مرحلة (مابعد الحداثة)، أو (مابعد البنيوية) نظراً للتعددية النقدية التي ظهرت في توجهات الغرب وجهودهم النقدية في قراءة الخطاب، واستحداث آلياتها بما ينسجم ومعطيات الثقافة الجديدة في قراءة النص ومدى الوعي بها، وبأبعادها المعرفية والفكرية، وفي هذا المحور تسلِّط الباحثة الضوء على طروحات ميشيل فوكو النقدية، والكشف عن مساهماته النقدية في النظر إلى الخطاب، وقراءة النص الأدبي.

يعد ميشيل فوكو من ممثلي تيارات الفكر مابعد البنيوي الذي يرى أن السلطة تتضمن الخطاب (سلدن، 1996م)، ولا يؤمن بالنظريات التي ترد القوى السياسية، والاقتصادية والسيطرة الأيديولوجية والاجتماعية إلى مظاهر من العمليات الدالة (سلدن، 1996م).

وتعود هذه النظرة لميشيل فوكو في الأساس لتأثره بالفلسفات الوجودية (existentialism) التي تقول بأسبقية الوجود على الماهية، وأن الإنسان يوجد أولا ثم تتحدد ماهيته باختيارٍ منه (حنفي، 1980م).

ويعد (الفيلسوف الألماني) نيتشه (1844–1900م) رائد الخط الفكري الذي يقول أن الناس يعرفون ما يريدون أولا، ثم يكيفون الوقائع بما يتناسب مع أهدافهم (سلدن، 1996م).

وبذلك يتجاوز فوكو ابتداءً الفكر الهايدجري، والهيجلي الذي تمثل فيه "الحقيقة مكتملة" (ولد أباه، 1994م)، وهذه الانطلاقة الأولى لمسلك فوكو في تشكيل مفهوم الخطاب تجاوز (الجوهر essentialism)، وكل عوامل الكمون المعرفية إلى الإيمان الكامل بحرية الإنسان في التغير المستمر، فلا حتمية ولا تجوهر إلا بالموت وحده (ستروك، 1996م)، على حدّ تعبير – بارت– الذي تأثر بالصيغة السارترية المشهورة: "..ليس يتوقع منا أن نتحول إلى جوهر إلا عندما نموت فعلاً" (عصفور، 1996م).

ومن هذه الوجهة يمكننا تفهم إستراتيجية فوكو الأولى للنقد ومنطلقه الأساسي في التحول المعرفي فحيث توجد المعرفة والخطاب، يجب أن يوجد النقد وذلك: "لتبيين الأمكنة الحقيقية للنص – والتزحزحات– ولرؤية النص بتلك الوسيلة كصيرورة دالة على إرادة فعالة على أن يكون له وجود كرغبة فعالة من لدنه، وعلى أن يكون نصاً، وعلى أن يكون موضعاً محتلاً" (سعيد، 2000م).

وتلك الفاعلية لا تتأتي إلا بفك جميع القيود المعرفية "النابعة"، أو ما يسمى بـ: "شفرات الثقافة"، تلك القوانين التي تؤثر في صيرورة المجتمع، ومنتجاته الثقافية بشكل لا واعٍ (الرويلي؛ والبازعي، 2005م)، فالتمثيل والمطابقة، والوعي باستكناه الدلالات في محور الخطاب المرهونة باشتراطاتٍ معرفية سابقة لا يمكنها أن تنتج أي دلالة، وبالتالي "ليس هناك معنى خارج الشارة، وسابقاً لها، وليس هناك أي حضور ضمني لخطاب أوليّ يجب إعادة إنشائه لإيضاح المعنى الأصلي للأشياء، ولكن ليس هناك أيضا أي فعل مكوّن للدلالة، ولا من تكوينٍ يتم داخل الوعي، ذلك لأن بين الشارة ومضمونها ليس هناك أي عنصر وسيط ولا أية قتامة: فليس للشارات إذن أية قوانين أخرى سوى تلك التي يمكن أن تحكم مضمونها" (فوكو، 1990م).

ويسوق فوكو ذلك التحول مثالاً على الانقلاب المعرفي في التاريخ الطبيعي لنظام الطبيعة الذي بيَّن من خلاله ما أحدثه الانقلاب الجذري من تحويرٍ على المناهج، والتقنيات، والتصنيفات الذي كان يتعين من خلاله التوافق التام بين البنيات، أو الوحدات الملاحظة وسماتها، والتوازي التام كذلك بين السمات المرئية للكائنات الحية ووظائفها (فوكو، 1990م). فلا تطابق ولا ثبات ولا تماثل في أي عنصر من عناصر تحليل الخطاب أما عن التماثلات فهي "تؤمن العلاقة العالمية

للأشياء في ما بينها، وتؤمن المعرفة التي نستمدها منها" (غرو، 2008م).

وظلت الكلمات في اللغة حتى مطلع القرن التاسع عشر ينظر إليها بمقدار قدرتها على التمثيل، ومن قيمتها التمثيلية كعناصر كمون في جوهر الخطاب يحدّد لها نمط وجودها (فوكو، 1990م).

ويمكن تفهم المنهجية التي تقوم عليها فلسفة فوكو في تحليله أنظمة الخطاب وفقاً للمبادئ الآتية (فوكو، 1990م):

- **مبدأ القلب:** إذ ينبغي التعرف على منبع الخطابات، ومبدأ غزارتها واستمرارها عبر الأوجه التي تبدي فيه دوراً ايجابياً كالمؤلف، والفرع المعرفي، وإرادة المعرفة.
- **مبدأ عدم الاتصال:** إن مبدأ وجود الأنساق للتقليل من الخطابات لا يعني مرجعيتها لأصلٍ سابق، أو أن فوقها، أو وراءها خطاباً كبيراً متصلاً يسودها، إذ يتعين على قارئ الخطاب إنهاضه "يتعين معاملة الخطابات على أنّها ممارسات غير متصلة، ممارسات تتقاطع، وتتقارب أحياناً، لكنها تتجاهل بعضها أيضاً وتستبعد بعضها" (فوكو، 1990م). بمعنى آخر لا وجود مسبق لأي شيء خارج حدود النص.
- **مبدأ الخصوصية:** بمعنى ألا يذيب القارئ الخطاب في دلالات مسبقة، إذ لابد من وجه آخر يمكن قراءته، وفك رموزه بعيداً عن أية سلطة فكرية سابقة، ومن هذه الوجهة فقط يمكن أن تجد أحداث الخطاب مبدأ انتظامها.
- **قاعدة الخارجية:** إذ ينبغي على القارئ أن يتجه إلى نواة الخطاب الداخلية دون الإحالة إلا أي شيء خارجي، وهذا ما يمكن تسميته بالقطيعة المعرفية، إذ لابد أن يكون انطلاقنا من النص نفسه.

والمبادئ السابقة تنقلنا في مستوى قراءة الخطاب من المستوى الأنطولوجي، إلى المستوى الابستمولوجي بمعنى آخر ".. يظلّ الخطاب مجرَّد علامة تحيل إلى ما ترمز إليه، أو دال يُحيل إلى مدلول خفيّ.. الخ" (ولد أباه، 1994م).

واعتماداً على ما سبق تتأكد الرؤية التي يتطلع إليها فوكو عند تحليل الخطاب من عرْضٍ منظمّ للمعارف وفقاً لرؤيتها الداخلية، وأنساقها المعرفيّة الخاصّة بها، والذي لم يعد جزءاً من تأكيد عقلٍ في حركة تقدم (غرو، 2008م).

وهذا ما يمكن تسميته بـ "تحليل المعاش" (دريفوسر، 1987م) لدى فوكو التي تقودنا إلى نظرية تجريبية بعيدة عن البعد التاريخي، أو الإحالة إليه أثناء ممارسة تحليل الخطاب وعندئذٍ يمكن الوصول إلى حد تسوية اللغة: "إنزال اللغة من مستوى اعتبارها مجمعاً للمعارف، ووسيلة لتحققها إلى مستوى موضوع من بين الموضوعات الأخرى لها ذاتيتها، وقوانينها الخاصة" (فوكو، 1990م).

حيث يسعى فوكو من خلال تلك الوجهة إلى تحطيم الذات والوعي بها على أساس أوليتها، أومركزيتها في تحليل الخطاب الذي لطالما ارتهن بمرجعيتها على مرِّ عهودٍ طويلة، فكان همه الأكبر والعاملين في ميدان تحرير الخطاب ممن يمثلون تيار مابعد الحداثة هو: "تحييد اللغة العلمية وصقلها إلى أن تفقد كل خصوصية ذاتية، وتتطهر من شوائبها، وأخطائها كما لو أنَّ هذه الشوائب والأخطاء ليست في صميم اللغة...

ويكون الخطاب العلمي بمثابة لوحة تمثيلية" (فوكو، 1990م)، بمعنى التمثيلي المختلف بالطبع عن التماثلات والتمايزات الذي ساد القرن الثامن عشر.

المحور الرابع: الخطاب التفكيكي (الاختلاف) عند جاك دريدا:

يعد الناقد الفرنسي جاك دريدا واضع أسس منهج النقد التفكيكي، الذي جاء كرد فعل على منهج النقد البنيوي (أي مرحلة الحداثة) إلى مابعدها.

حيث انصَّبت جهود التفكيكيين على مشكلات المعنى وتناقضاته، وزعزعة فكرة البنية الثابتة، والبرهنة على "طبيعة التناقض المعرفي بين النص، والإساءات الضرورية التي تحدث في القراءة" (فضل، 1977م).

وقد لقي النقد التفكيكي شعبية ملحوظة في الأوساط النقدية والأكاديمية في الولايات المتحدة الأمريكية، واستحوذ على اهتمام المشهد الفكري النقدي الأمريكي "حتى قيل إنه منتج أمريكي بحت" (الرويلي، والبازغي، 2005م) على الرغم من أن التفكيك نشأ في أوروبا غير أنه لم يزدهر هناك، ولعل مردّ ازدهاره في التربية الأمريكية يعود إلى أن "المناخ الثقافي الأمريكي لم يكن مواتياً للبنيوية، أو مرحَّباً بها" (حمودة، 1998م).

لقيت أفكار دريدا قبولاً شديداً وتنمية فكرية ونقدية من عددٍ كبيرٍ من النقاد الأمريكيين منهم: ريتشارد راند، وجوزيف هيللس مللر، وهارولد بلوم "وفي مقدمتهم جميعاً بول دي مان" (فضل، 1977م) صاحب كتابيْ: "العمى والبصيرة 1971م، وأمثولات القراءة 1979م، وهما عملان تفكيكيان دقيقان يتضح فيهما تأثّره الشديد بجاك دريدا.

وعلى الرغم من الشعبية الكبيرة التي تمتع بها التفكيك في البيئة النقدية الأمريكية إلا انه لم يمنع من قيام حركة نقدية تعارض التفكيك، وتحاول أن تكشف مثالبه وخطورته. صحيح أن تلك الحركة المعارضة ظلَّت تواجه الفشل والإخفاق لسنواتٍ عديدة دون أن تحقق نجاحاً يذكر، لكنها استطاعت أخيراً، ومنذ النصف الثاني من الثمانينيات أن تكشف المشروع التفكيكي

وتفضحه (حمودة، 1998م). ليخرج بعد حقبة لم تزدْ على خمسة عشر عاماً – في البيئة الأمريكية مفسحاً الطريق أمام مشاريع نقدية جديدة أبرزها: "التأريخانية الجديدة" (الرويلي، والبازغي، 2005م).

والبحث في جذور التفكيكية، يمكن تمثلها على اعتبارها آلية في قراءة النص الأدبي المحكومة بنظرية الهدم والتدمير والموت (الجابري، 2007م).

ويمكننا تحديد فترة المدّ التفكيكي في السبعينيات، وجزء من الثمانينيات، وأرى أن الفكر التقويضي وما يستدعيه من فوضى الخراب لها ارهاصاتها وترسباتها الموغله بالعمق، فمقولات موت المؤلف لم تولد من الفراغ وإنما لها بدء منذ إطلاق نيتشه عبارة: موت الإله مدفوعاً بمنطق الصراع بين الإنسان والآلهة، حيث بنى نيتشه تصوراته على الاعتراف بالانسان كرمز للقوّة الخلاقة.

فضلاً عن تأثر التفكيكية بفلسفات كل من سارتر، وهايدجر الوجودية، وقراءات جاك لاكان، وفرويد النفسية، وتحليلات دي سوسيير السيمائية في مجال اللغة والذي قدم البذور الأولى للتفكيك؛ حيث ارتكزت طروحاته على تحقيق ذاتية اللغة، وأوليتها على العلامة والوقوف في هذه المرحلة على الفصل التام بين الدَّال والمدلول، وإيمانه العميق بانتفاء ضرورة وجود علاقة بين الدال والمدلول أصلاً (حمودة، 1998م).

وبذلك تكون فكرة موت الإله في فلسفات نيتشه بالمنطق نفسه الذي أعلن فيه دعاة التفكيك موت المؤلف (تاوربريت، وراجح، 2009م).

ونجد في حرص نيتشه على تقويض الفكر الماورائي الميتافيزيقي، وثورته على الفكر الهيجلي في التأسيس للمعرفة التاريخيَّة، وتاريخيَّة المعنى التي لطالما أسست للحقيقة المركزية الثابتة، ودعَّمت أركانها: "أن إيمان هيجل بوحدة وجود المنهجيَّة التاريخانيَّة هي النقطة التي حدَّدها دريدا باعتبارها التوق للأصول والحضور الذاتي، وقد تعامل هيجل مع التاريخ والوعي باعتبارهما متقاربين باتجاه مرحلة الاستبصار القصوى والفهم التام، ودريدا مثل نيتشه من قبله حرص على تفكيك هذه المعرفة المثالية والمفاهيم المنهجية الخاصة بها" (جواد، 1996م).

كما ترتبط آليات التفكيكيين ومنهجيتهم القائمة على جوهر الاختلاف، والتداعي الحر للمعنى وتناسله، وإرجاءاته المستمرة بمقولات فرويد حول الوعي، واللاوعي، واستثمارها في إنتاج تلك الحوارية المفضية للتناسلات المعنية بايحالاته المستمرة على الدوام.

"فالنص الذي ينتج بالقطع في حالة وعي بعد أن ابتعدنا بمراحل عن المفهوم الأفلاطوني عن الإلهام ليس هو الأصل، انه مجرّد إعادة إنتاج لنص أصلي داخل اللاوعي" (حمودة، 2003).

ومما تقدم يُلحظ أن الخطى الحثيثة للتفكيكية الساعية للهدم على الرغم مما تشي به من الخليط التأثري بالفلسفات السابقة بامكانية وجود، فإنها في صياغاتها النهائية تحيل باستمرار إلى تمثل اللاإمكانّية لأي وجود مفترض في حدودها القصوى من الغياب، وانعدام الحضور جبري الوجود فلا يوجد لهم إلا الغياب ويرفضون حضور الثوابت ولا وجود إلا لخيالات وأوهام، وثمّة تغييب تام لقصدية المؤلف والنص ولم تعد اللغة إلا نسق من العلاقات التي توحِّد بين الدالّ والمدلول؛ بل أصبحت عندهم فوضى من الدوالّ والدوالّ فقط وبذلك يغدو التشكيك بكل شيء عاملاً رئيسياً لتحديد مناطق الاختلاف للنصوص بكل تعارضاتها الداخلية، فلا مركزية لعلامة، أو لغة، أو لمؤلف، أو حتى النص فالقراءة المعوّلُ عليها في استراتيجية التفكيك التي تفضي للانهائية المعنى، وكل قراءة فيها إساءة للقراءة السابقة، وليس معنى ذلك رفضاً لها، وإنما هي تفكيك وتحوير لها في مسارات لانهائية من إرجاء الدلالات، وانتفاء الوجود الحتمي لها باستمرار.

في مصطلح التفكيك:

التفكيك كما يعرفه بول ديمان "هو صيغة فريدة من التدمير، أو الهدم (Destruction)، ومنها رغبة التفكيك في استفزاز ميتافيزيقيا الحضور من خلال الغياب، أو الالتفات إلى نقاط العمى في داخل كل بصيرة ممكنة".

أما التقويض فهو المصطلح الذي أطلقه الفيلسوف الفرنسي المعاصر جاك دريدا على القراءة المزدوجة التي اتبعها في مهاجمته الفكر الغربي الماورائي" (الرويلي، والبازغي، 2005م).

والتفكيكية على اختلاف مسمّياتها عند كل من بول ديمان الذي شكلت مقالاته حول العمى والبصيرة 1971 مصدراً قوياً لأفكار جاك دريدا (الرويلي، والبازغي، 2005م)، ومفهوم التقويضية كما هو عند دريدا إلا أن الدافع الرئيس عند كليهما هي الرغبة الملحَّة في خلخلة البنى القارة للفكر الماورائي الغربي وهدمها والثورة على مركزيتها والذي يصفه دريدا باستمرار: "أنه صرح أو معمار يجب تفويضه" (الرويلي، والبازغي، 2005م).

في حين عرَّب آخرون المصطلح بـ (التشريحَّية) كما هو حال الغذامي الذي قصد منها أمن اللبس بينها وبين مصطلح التحليلية الذي قد يحمله البعض على معنى التحليل أي درى

بالتفصيل، ويبتعد بها عن المعنى القاصد إلى (الحلّ)، أو النقض (الغذامي، 1985م).

وعلى نحو أكثر دقة أميل في اعتقادي عند وصف الآلية المنهجية التي يقوم عليه هذا النقد، والبحث في الاستراتيجيات التي يتم من خلالها التعامل مع النصوص بإحالتها إلى فعل التفكيك، أو التذويب، أو ما يمكن تسميته بنظام حلّ الروابط السابقة القبلية في المابعد بين حالّ/ ومحلول، وما بين كائنٍ وأثر.

أما عند الخوض في الحديث عن الدور الفكري لهذا النقد وموقفه التشكيكي بكافة الأطر الثابتة في تاريخانية الفكر، وتدمير مركزيتها المهيمنة وإحالتها إلى فوضوية المعرفة فتصبح أكثر قرْباً إلى التقويضية.

في المصطلح

يقدِّم دريدا صوْغاً فلسفيًّا للنظرية التفكيكية: "إنَّ تفكيك الفلسفة يعني إذن الاشتغال عبر الجنيالوجيَّة التي قد شيِّدت مفاهيم الفلسفة اشتغالاً يُقيم عند هذه المفاهيم إقامةً يُداخلها الشك... ويُعيِّن في الوقت نفسه ما قد حجبه هذا التاريخ وأبعده... الخ" (نايل، 2007م).

أما عن القراءة التقويضية للنصوص "فالتفكيكية هي تفتيت لشفرات النص إلى أجزائه المكونة لتدرك أنماطه، ثم تعيد تشكيل ذلك الفتات في إبداعٍ جديد وفق رؤية جديدة مغايرة... قراءة لا تتم إلا من خلال تفكيك عناصر الخطاب وأجزائه المكونة له، وذلك بهدف إدراك معانيه الخفية النائمة (تاوربريت، وراجح، 2009م) خلف الدوالّ، ثم إعادة هندسة معاني النص وتشكيلها تشكيلاً جديداً.. إلخ.

استراتيجيات القراءة التفكيكية، وآليات تعاملها مع النصوص:

أ- استراتيجية التفكيك:

يعد الناقد الفرنسي جاك دريدا واضع أسس منهج النقد التفكيكي، الذي جاء كرد فعل على منهج النقد البنيوي (أي مرحلة الحداثة) إلى ما بعدها.

حيث انصَّبت جهود التفكيكيين على مشكلات المعنى وتناقضاته، وزعزعة فكرة البنية الثابتة، والبرهنة على طبيعة التناقض المعرفي بين النص والإساءات الضرورية التي تحدث في القراءة.

ويتجنب التفكيكيُّون تقديم تعريفات واضحة ومحددة حتى للتفكيكية ذاتها، وفي ذلك يقول نوريس: إن التعامل مع التفكيكية على أنها قابلة للتعريف محاولة مضللة لاختزال تلك الحركة" (الشامي، 1994م).

حتى إن دريدا نفسه "يشرح ممارسته للتفكيك عن طريق الأمثلة، أو الحالات وليس عن طريق نظرية عامة أو بحث حول الموضوع" (حمودة، 2003). تقول إيرين هارفي عن التفكيك: "يمكن تسميته مؤقتاً استراتيجية للنص وحتى يكون أكثر دقة إنه ممارسة وليس نظرية" (حمودة، 2003).

1) الأثر/ الأثر الأصل:

حاول دريدا أن يحطم فكرة التمركز المنطقي الذي يمنح الامتياز والفوقية للطرف الاول في الثنائيات الضدية- في الفكر البنيوي- ويلقي بالدونية، والثانوية على الطرف الثاني الذي أطلق عليه دريدا اسم (الأثر) من خلال قلبه للتراتب الهرمي العنيف الذي يفرضه التمركز المنطقي ويعطي للطرف الأول صفة الحضور الكامل في حين يغيب الطرف الثاني تماماً.

إن ديريدا لا يفصل بين الداخل والخارج، بين داخل مثالي مطلق مملوء بالحدوس وخارج يعمل على تعليق المفاهيم ويجعل العالم موجودا في ذاته بينما هو معطى من معطيات الحقيقة عنده والتي إذ تجد تعليلها في ما يضفي عليها دلالة ومعنى تتحول إلى ظاهرة متعالية قابلة للمعرفة والتفكيك.

فالخط الوهمي الذي يفصل بين الداخل والخارج يخضعه ديريدا للتفكيك فتتحطم علاقة التبعية التي يسيطر فيها مصدر المعنى كتعسف ميتافيزيقي على العلامة الإشارية للغة.

ويجدر بالباحثة التمييز بين الأثر الأصل، والأثر كما بينهما دريدا، فالأثر الأصل "هو الامكانية التكوينية للتلاعب المتبادل بين أطراف التضاد، بين الأنا، والآخر، وهو الإمكانية التكوينية لما يعرف عادةً بالاختلاف" (الرويلي، والبازغي، 2005م).

والأثر الأصل "هو أدنى أو أصغر مستويات البنية الضرورية لإيجاد أي اختلاف، أو تضاد بين المصطلحات والمفردات... وقد عدَّت النظرة التقليدية الميتافيزيقية (الآخر) تابعاً ومشتقاً، وثانوياً، وليس أصلاً جوهرياً وضرورياً.. في مقابل هذه النظرة الميتافيزيقية يقوم دريدا بقراءة الأثر قراءة تنقض الموقف الميتافيزيقي...فالمفردة التي تتسم بالامتيار في عملية التضاد البنيوي الاختلافي لا تظهر أبداً بذاتها دون الاختلاف والتضاد.. ونتيجة لذلك فإن الأثر الأصل هو انعكاس على أو انعكاس للشكل الذي سيأخذه المصطلح المميّز طالما هو لا يستطيع أن يظهر إلا من خلال بنية ضديَّة ثنائية" (الرويلي، والبازغي، 2005م).

2) الاختلاف:

ولَّد دريدا هذا المصطلح من فعلين هما: **(الارجاء، أو**

التأجيل) فعل الاختلاف بمفهومه الألسني البنيوي، ويقصد بالإرجاء "أن النص المكتوب يمكن أن يقرأ، وتعاد قراءته ضمن سياقات مختلفة تخلص إلى إنتاج انزلاقات للمعنى" (بيير، 1996م). تكون نتيجتها الرئيسية تأجيل تحديد صيغة نهائية للمعنى عبر سلسلة من الإحالات التي قد لا تنتهي.

الفلسفة بما هي زمن الموجود الحاضر والحضور الحاضر تصنع من العلامة الدال الذي يتجاوز الوجود كحضور، ولتعميق لعبة التفكيك عند ديريدا فقد فكّر في اللعبة كغياب للمدلول المتعالي خارج الحاضر.

والاختلاف عند دريدا يكتسب صفة زمانية، وصفة مكانية تنجم عن بنية مكانية تقابلية بين المتضادات" (الرويلي، والبازغي، 2005م).

وقد شكلت ميتافيزيقا الحضور النواة الصلبة في نقد ديريدا للعقل الغربي المتمركز حول المنطق ويدعو إلى اللامركز والتعدد وعلم الكتابة نحو تأسيس أخلاق لهذه الكتابة التي تشاكس اللغة المنطوقة نحو تأسيس تخطّي لجدار اللغة في اتجاه الكتابة ذاتها، فالاشتغال على ثنائية الحضور/الغياب عند ديريدا من خلال فهم العلاقة الجدلية بين هذين المستويين في جسد الخطاب يجعل "الحضور حسب التفكيك رهينة مرئية، والغياب ظلاله الكثيفة العميقة الغائرة.

فحضور المعنى غير قابل للتحقق، بمقدار ماتحيل كل إشارة بلا انقطاع إلى الدلالات السابقة واللاحقة، محدثة تفتيتا لحضور المعنى، وتماثله، بمعنى آخر ليس المعنى حاضرا أبدا؛ لأنه بات مرجأً دائما في حركة (إرجاء)، وهذا الإرجاء ملازم لكل اختلاف يزعم تحديد كل من التعبيرين.

3) الانتشار، أو التشتيت:

يشبه البعض مفهوم الانتشار، والتشتت بالإمساك بحفنة في البذور، ونثرها لتنمو على غير نظام وهو يعني: "تناثر المعنى وإنثاره بطريقة يصعب ضبطها، أو التحكم بها، هذا التكاثر (للمعنى) ليس بوسع المرء إمساكه، أو السيطرة عليه، وإنما يوحي بنوع من اللعب الحر (للدوال)؛ هو حركة مستمرة تبعث المتعة، وتثير عدم الاستقرار والثبات" (فضل، 1997م)، كما يتسم بالزيادة المفرطة ويأخذ هذا المصطلح بعداً خاصاً عند دريدا الذي يركز على فيضان المعنى وتفسخه" (الرويلي، والبازغي، 2005م).

فهو يؤكد النظرة والتمركز في الدال رافضا بشكل مطلق مبدأ التقابل التناظري ما بين الدال والمدلول بمعنى الإحالة المرجعية على أساس العلاقة ودلالاتها ذات الأبعاد الاتفاقية الانعكاسية أو دراسة النص على اعتباره نظم في أنساق من العلامات المتوالدة في سياق تفاعلها رمزا أو إشارة أو إيقونة أو سياق اجتماعي، إذ يصرّ على أن لا مفاهيم حاضرة خارج الألفاظ، فالمكتنز الذي يحتفظ به النص قابل للتحرر في فعل القراءة الذي يُنظر عبر مجهر البحث في ذلك الانتشار غير المحدد للنصوص الأخرى التي تنطلق عند كل قراءة جديدة وبالتالي لا نهاية للقراءات. وفي الوقت نفسه لا يمكن لأية قراءة أن تكون صحيحة، فهي تمثل إساءة قراءة، وهكذا التقويض يسير في هدم متواصل وبناء ليس نهائي.

4) التكرارية:

وضع دريدا مفهوم التكرارية ردًّا على نظرية أفعال الكلام الأمريكية (أوستن، سيرل) والبنيوية الفرنسية (مارتينه، غريماس) "تتفقان على التأكيد بأن تكرار إشارة (معاودتها، أو ترديتها) لا يضع موضع الاتهام هويتها، بل يميل إلى تقوية معناها وزيادة التماسك الدلالي لسياقها" (بيير، 1996م).

فهو يرى أن قابلية تكرار الاشارة ما "تفضي إلى تفتت الهوية الدلالية لهذه الاشارة:

أولاً: لأسباب تجريبية – بسبب تنافر سياقات الاتصال–.

ثانيا: لأسباب دلالية بسبب التغيرات التي تتم في السياق المقالي الداخلي (بييرف، 1996م).

فالتكرارية تنطوي على نوع من الإزاحة خاصة أن التكرار يعني الانتقال مكانياً وزمانياً، وكذلك يعني الابتعاد عما يقوم بتكراره، ولذلك فإن إمكانية الإزاحة من خلال التكرار تقضي أن يقوم التكرار بعملية تغيير، بإحداث شيء جديد يختلف عما قام التكرار بتكريره" (الرويلي، والبازغي، 2005م).

إضافةً إلى ذلك فإن التكرارية تلغي وجود حدود بين نص وآخر، وينتج عن هذا أن أي نص هو خلاصة لما لا يحصى من النصوص قبله... (وعندها) تصبح النصوص المتداخلة لا حصْر لها، ومعها تأتي الامكانات الاقتباسية لتشريح (تفكيك) النص (الغذامي، 1985م).

كما نظر التفكيكيون إلى النص على أنه بنية متخلخلة غير متماسكة، وفيها العديد من الثغرات، لذلك فإن على أي شخص يريد أن ينفذ إلى هذه الثغرة الموجودة في النص عليه أن يقوم أولاً بتفكيكه، وقراءته من جديد.

وعلى الرغم مما يوجه للتفكيكية من نقد، وعلى الرغم من قول البعض أن التفكيكية أخلت مكانها مفسحة الطريق أمام مناهج نقدية جديدية في دراسة وتحليل النص الادبي، إلا أن الحقيقة التي لا يمارى فيها هي أنَّ التفكيكية شغلت الساحة النقدية لفترة غير قصيرة، وأحدثت حراكا عقلياً وفكرياً أغنى الفلسفة واللغة والادب، كما أن كثيراً من تقنيات استراتيجية التفكيك لا تزال تحتفظ بفاعليتها في دراسة النص الأدبي.

وعموماً فإن التفكيكيين تركوا بصمات واضحة في مسيرة

النقد الأدبي سيظل لها حضورها المباشر، أو غير المباشر في مناهج النقد الأدبي اللاحقة بهم.

الخاتمة

إنَّ اختلاف مركزيَّة السلطة على النص وتناوباتها من سلطة المؤلف إلى القارئ ما هي سوى تنويعات على السلطة المركزية للخطاب، المحابِثَةِ للخطى التجريبيَّة فيما تقتضيه من حلّ النظام السابق، والانقلاب عليه وتفكيكه إلى نظام مابعد حداثي عند ممارسة العمليات التأويلية للنصوص، وبناء دلالاتها.

وبذلك يتحوَّل القارئ وفقاً لمنطلقات النقد في (مابعد البنيوية) من مستهلكٍ للنص، إلى منتجٍ له، ولا يعود مجرّد قارئ وإنَّما قارئ وكاتبٌ للنص يستطيع كتابة النص كما يريد؛ ومن هنا فإنَّ النص لدى النقاد فيما (بعد البنيوية) يحتمل عدداً غير نهائي من القراءات، كما أنه يستبعد أي ملابسات خارجية في قراءة النص.

وبالتالي فالمؤلف ليس مبدعاً لنصّه، فهذا النص هو حصيلة عددٍ من النصوص لا الذوات والاتصال بكتابات سابقة بعضها معروف، وبعضها مجهول.

وقد ذهب البنيويون في نقدهم للنصوص الأدبية نحو التركيز على تحليل النصوص تحليلا شموليًا، بمعنى أنه لا يحسن الاكتفاء بتناول جزءٍ أو أكثر من العمل الأدبي، كتناول المعنى مثلا، أو الصورة، أو الأسلوب، أو المجاز أو الألفاظ... إلخ، إذ لا تؤمن البنيوية بالتفريق بين الشكل والمضمون

أما على المستوى الإجرائي، فإن البنيوية تتيح للناقد القيام بعملية مزدوجة هي الاقتطاع والتركيب؛ أي أنها تتوقف عند جزء من النص ترى فيه بنية موضعية للكشف عن وظيفة هذا الجزء من النص ترى فيه بنية موضعية للكشف عن وظيفة هذا الجزء وصلته بالأجزاء الأخرى، وتأثيره في الكل وتأثره به، وبعد التعرُّف على هذه العلاقات والوظائف تتم إعادة تركيب النص في إطار التحليل الشمولي لنصوص أدبية يقود إلى الكشف عما بينها من تشاكل مطلق.

وعلى هذا؛ فإن البنيوية تُعلي من شأن النص ورموزه، وتقلل من أثر الذات والوعي سواء أكان وعي المؤلف وذاته، أم وعي القارئ.

وما ينطبق على انتزاع الذات وتفكيك حضورها فلسفياً ينطبق كذلك على استحالة الحضور لأي معنى في تحليل الخطاب الأدبي من وجهة مابعد البنيوية، وبهذا الشكل يمكن تفهم مابعد البنيوية؛ على أنها نظام تمييع الماهيات، وعدم البحث عن التطابق بين الوجود، وماهو موجود بالفعل، إذ يغدو الوجود عارياً عن آية دلالة ممكنة، وتشكيله (بعدي) لم يتعين بعد، فلا نهائيات واضحة للمعنى، والنص لديهم نص بعدي غير منجز وغير متشكلٍّ، فضاءاته مفتوحة ومتشظية على جميع التأويلات لا يحكمها سقْف ولا تحدها حدود.

وأخيرا، جاءت مقولات تيار مابعد البنيوية ممثلة بجيل الاختلاف: ميشيل فوكو، وجاك دريدا كرد فعل على البنيوية ومقولاتها المرتبطة بمرحلة الحداثة، إلا أن الإعلان الرسمي لانشقاق البنيوية عمّا بعدها كان على يد رولان بارت الذي رأى أن النص عالم بلا حدود؛ فهو تناص، وكتابة مضاعفة لا ينشئها المؤلف إنما هو جامعٌ لها، وبالتالي ألغى بارت دور المؤلف ليحل محله الناقد الذي يحدِّد المعنى وينتج لغة خاصة به، فاللغة المكتوبة تنفصل عن مالكها، على النقيض من الكلام الذي يرتبط بقائله ارتباطًا وثيقًا، وما يتبقى هو الكتابة.

المصادر والمراجع

بارت، ر. (1986م) درس السيميولوجيا، ترجمة: عبد السلام المسدي، ط2، المغرب: دار توبقال، ص81.

بيير. ف، ز. (1996م) التفكيكية: دراسة نقدية، تعريب: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.

تاوربريت، ب. (2009م) الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، دراسة في الأصول والمفاهيم، إربد: عالم الكتب الحديثة، ص85-95.

تاوربريت، ب.، سامية، ر. (2009م) فلسفة النقد التفكيكي في الكتابات النقدية المعاصرة، وسامية راجح، عالم الكتب الحديث، ص17-18.

الجابري، ع. (2007م) الفلسفة الغربية من التنوير إلى العدمية، الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ص297.

جاكبسون، ل. (2008م) بؤس البنيوية، الأدب والنظرية البنيوية، ترجمة: ثائر ديب، ط2، دمشق، دار الفرقد، ص15.

حمودة، ع. (1998م) المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع232، ص 177-290.

حمودة، ع. (2003م) الخروج من التيه: دراسة في سلطة النص، الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص172.

حنفي، ع. (1980م) الموسوعة الفلسفية، بيروت: دار ابن زيدون للطباعة والنشر، ص525.

خليل، إ. (2003م) النقد الأدبي الحديث، من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع.
دريفوسر، أ. رأبينوف، ب. (1987م) ميشيل فوكو، مسيرة فلسفية، مراجعة وشروحات: مُطاع الصفدي، ترجمة: جورج أبي صالح، بيروت: إنتاج ومنشورات مركز الإنماء القومي، ص35.
روز، م. (1994م) مابعد الحداثة، ترجمة: احمد الشامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص10–11.
الرويلي، م. سعد ا. (2005) دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط4، المغرب: الدار البيضاء، ص223.
ستروك، ج. (1996) من ليفي شتراوس إلى دريدا، ترجمة: جابر عصفور، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
ستروك، ج. (1996م) البنيوية ومابعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا، ترجمة: جابر عصفور، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص170.
سعيد، ا. (2000م) العالم والنص والناقد، ترجمة: عبد الكريم محفوظ، بيروت: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص270–271.
سلدن، ر. (1996م) النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: سعيد الغانمي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص147.
الشيخ، م.، الطائري، ي. (1996م) مقاربات في الحداثة ومابعد الحداثة: حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، ص16.
الغذامي، ع. (1985م) الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية، جدة: سلسلة كتاب النادي الأدبي الثقافي، ع27، ص50.
غرو، ف. (2008م) ميشال فوكو، ترجمة: محمد وطفة، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص55.
غرو، ف. (2008م) ميشيل فوكو، ترجمة: محمد وطفة، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص58.
فضل، ص. (1977م) مناهج النقد المعاصر، ط1، القاهرة: دار الآفاق العربية، ص127.
فضل، ص. (1987م) نظرية البنائية في النقد الأدبي، بغداد: دار الشؤون الثقافية، ص203.
فوكو، م. (1984م) نظام الخطاب، ترجمة: محمد سبيلا، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ص34–35.
فوكو، م. (1990م) الكلمات والأشياء، ترجمة: مطاع الصفدي، وآخرون بمشاركة من: جورج زيناتي، بيروت: مركز الإنماء القومي، ص75–76.
المسيري، ع. فتحي، ا. (2003م)، الحداثة ومابعد الحداثة، دمشق: دار الفكر، ص81.
ناصف، م. (2003م) بعد الحداثة صوت وصدى، جدة– السعودية: النادي الأدبي الثقافي، ص15–26.
نايل، ح. (2007م) البنيوية والتفكيك: مداخل نقدية مجموعة من الكتاب، ترجمة: حسام، عمان– الأردن: أزمنة للنشر والتوزيع، ص148.
نورس، ك. (1996م) التفكيكية: النظرية والتطبيق، ط2، ترجمة: رعد عبد الجليل جواد، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، ص84.
ولد أباه، ا. (1994م) التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، بيروت: الدار العربية للعلوم، ص 2–13.

Discourse Analysis and Overcome the Structural (Fouco, and Jacques Derrida as a Sample)

*Mona Basheer Mohammad Aljarrah**

ABSTRACT

The discourse of Fouco and Jacques Derrida, was one of the lingual critic branches which produced by postmodernism sayings, and destined theories for the reader, which called for the author exclusion and negligence in the criticism process practice, by the view to the text as a separate world.

And so the knowledge moved in the New Historicism, putting its special arrangements for the possibility of thinking was termed by: (metaphysical thought), which includes line of though extending from Plato even Hegel represented by perfectly Metaphysics line of thought, to put Abestmologi to his own knowledge production arrangements termed by: (Think of the Difference), produced by Nietzsche and turn it towards Derrida.

Where undergone radical changes established the concept of the speech, the text in the postmodern fields where the cognitive deterministic and discursive formations that look at the text as an open composite material and Non-continent that the tendency to disassembly line with openness and stay away from any continent center point, and replaced by bilateral reader and intertextuality in accordance with the procedural levels followed by critics of postmodernism substitute for author bilateral and text dating according to the Kantian concept to the level of essences.

Keywords: Discourse, Fouco, Jacques Derrida, Postmodemism, Intertextuality, Think of the Difference.

* Language Center, The University of Jordan. Received on 11/6/2015 and Accepted for Publication on 25/7/2016.